

/ سورة الشورى

وقال الشيخ - رحمه الله :

قد كتبتُ بعض ما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٣٦ - ٤٣] ، فمدحهم على الانتصار تارة وعلى الصبر أخرى .

والمقصود هنا أن الله لما حمدهم على هذه الصفات ؛ من الإيمان والتوكل ، ومجانبة الكبائر ، والاستجابة لربهم ، وإقام الصلاة ، والاشتغال في أمرهم ، وانتصارهم إذا أصابهم البغي ، والعفو والصبر ، ونحو ذلك - كان هذا دليلاً على أن ضد هذه الصفات ليس محموداً ، بل مذموماً ، فإن هذه الصفات مستلزمة لعدم ضدها ؛ فلو كان ضدها محموداً لكان عدم المحمود محموداً ، وعدم المحمود لا يكون محموداً إلا أن يخلقه ما هو محمود ؛ ولأن حمدها والثناء عليها طلب لها وأمر بها ، ولو أنه أمر استجاب ، والأمر بالشئ نهى عن ضده قصداً أو لزوماً ، وضد الانتصار العجز ، وضد الصبر الجزع ؛ فلا خير في العجز ولا في الجزع كما نجاه في حال كثير من الناس ، حتى بعض المتدينين إذا ظلموا أو / أرادوا منكراً فلا هم ينتصرون ولا يصبرون ؛ بل يعجزون ويجزعون .

وفى سنن أبي داود ، من رواية عوف بن مالك : أن رجلين تحاكما إلى النبي ﷺ فقال المقضى عليه : حسبي الله ونعم الوكيل . فقال النبي ﷺ : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل »^(١) . وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن غلبك أمر فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »^(٢) . لا تعجز عن مأمور ولا تجزع من مقدور .

ومن الناس من يجمع كلا الشرين ؛ فأمر النبي ﷺ بالحرص على النافع والاستعانة بالله ، والأمر يقتضى الوجوب ، وإلا فلاستحباب . ونهى عن العجز ، وقال : « إن الله يلوم على العجز » ، والعاجز ضد الذين هم ينتصرون ، والأمر بالصبر والنهى عن الجزع معلوم فى

(١) أبو داود فى الأفضية (٣٦٢٧) وأحمد ٦ / ٢٥ ، وضعفه الألبانى .

(٢) مسلم فى القدر (٢٦٦٤ / ٣٤) وابن ماجه فى المقدمة (٧٩) وأحمد ٢ / ٣٦٦ .

وذلك لأن الإنسان بين أمرين: أمرٌ أُمِرَ بفعله، فعليه أن يفعله / ويحرص عليه، ويستعين الله ولا يعجز، وأمرٌ أصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه؛ ولهذا قال بعض العقلاء - ابن المقفع أو غيره - الأمر أمران: أمرٌ فيه حيلة فلا تعجز عنه. وأمرٌ لا حيلة فيه لا تجزع منه. وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به وأحبّه له، فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له؛ إذ لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد أمره بكل خير فيه له حيلة، وما لا حيلة فيه هو ما أصيب به من غير فعله.

واسم الحسنات والسيئات يتناول القسمين، فالأفعال مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ومثل قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، والمصائب المقدرة خيرها وشرها مثل قوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. إلى آيات كثيرة من هذا الجنس. والله أعلم.